المرأة المسلمة وتعليم اللغة العربية في أرض إغالا نيجيريا: مشكلات وحلول

د. ثالث أبوبكر عبدالله

ملخص

للغة العربية مكانة مرموقة، وأهمية كبرى لدى المرأة المسلمة لعلاقتها المتينة بالإسلام،ولكونها لغة المصدر الأول للإسلام،ولاغناء لها عن تعليمها ولو بقدر يسير،لتؤدي بها فرائض دينها.ويريد الباحث أن يقف على مدى تعلم المرأة لهذه اللغة في أرض إغالا،وما مستواهن من التقدم والتأخر في الثقافة العربية،حاثا الأمة المسلمة أن تبذل أقصى جهودها في تعليم المرأة المسلمة اللغة العربية،حماية لدينها، وحقوقها، وشرفها، ولرفع مستواها العلمي في المجتمع الإنساني،ولتزويد المكتبات العربية والإسلامية.

محتويات البحث:

- ملخص البحث
- أرض إغَالا وموقعها الجغرافي
- فضل العلم في الإسلام
- تعليم المرأة
- تعليم المرأة للغة العربية منذ عصر النبوة
- تعليم المرأة في نيجيريا
- تعليم المرأة في أرض إغالا
- بعض المشكلات المانعة من تعليم المرأة اللغة العربية في أرض إغالا
- الحلول المقترحة
- الخاتمة ونتائج البحث
- الهوامش

أرض إغَالا وموقعها الجغرافي :

أرض إغالا هي المنطقة الواقعة في شرقي مدينة لوكوجا عاصمة ولاية كوغي في شمال نيجيريا، ويحد ها نهر بِنُوَي شمالا،ومدينة أَنسُوكَا في ولاية أُنَامبَرَا جنوبا،وأرض إدوما في ولاية بينوي شرقا،ونهر نيجرغربا ،وتبلغ مساحتها نحو ٤٩٨٢ ميلا مربعا ١.

فضل العلم في الإسلام:

للعلم فضل عظيم، ومكانة مرموقة في الكون ولدوره الفعال في تطوير الإنسانية والحياة الاجتماعية،وقد دل كثير من الآيات القرآنية على فضله، منها قوله تعالى: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» الزمر:٩،وقوله أيضا»يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات» المجادلة:١١، وقوله «إنما يخشى الله من عباده العلماء»فاطر:٢٨، وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:»فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»٢ وقوله أيضا:»من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريق الجنة»٣ أخرجه مسلم.ومما قال بعض الصحابة في فضل العلم ما روى عن الشعبي قال:قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:خذوا عني هؤلاء الكلمات فلو رحلتم فيهن المطي حتى

أنضيتموهن لم تبلغوهن لايرجو عبد إلا ربه،ولايخاف إلا ذنبه ولايستحي إذا كان لايعلم أن يتعلم ولايستحيي إذا سئل عما لايعلم أن يقول لاأعلم».٤

تعليم المرأة:

إن الله تعالى فرض طلب العلم على كل مسلم بما تستقيم به دنياه وتصح به آخرته،وحكم المرأة المسلمة في ذلك حكم الرجل المسلم.والدنيا هي مزرعة المسلم والمسلمة للآخرة،فإذا عمراها أكمل عمارة كان لهما الجزاء الأوفى يوم القيامة.ولنتأمل كيف حض الشارع على طلب العلم وكيف كان خطابه في كل النصوص موجها للمؤمنين عامة رجالا ونساء،لاللرجال فحسب٥ عن أنس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم»رواه البيهقي.٦

إن الإسلام لم يفرق بين الرجال والنساء في التعليم بل اهتم بتعليم النساء كالرجال،جاء في البخاري عن ابن سعيد الخدري رضي الله عنه قال:جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله،قال النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعن في يوم كذا في مكان كذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله فعلمهن مما علمه الله، ثم قال:مامنكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابا من النار،فقالت امرأة منهن: يارسول الله واثنين، قال أبوسعيد فأعادتها مرتين، ثم قال رسول الله:واثنين واثنين واثنين. وفيه أيضا عن أم هشام قالت:»ما أخذت سورة ق إلا على لسان النبي كان يخطب بها كل جمعة»٧ وهذا الحديث يدل على اهتمام المرأة بالتعليم ولاسيما فيما يتعلق بالإسلام.وكما يدل بعض الأحاديث على أخذ العلم من المرأة أيضا كما روت السيدة عائشة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو(٢٢١٠)، حتى قال النبي في وصف علمها: (خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء).٨ وهناك حديث آخر يدل على أخذ العلم منهن كما يلي:عن مسلم القرى قال:سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن متعة الحج فرخص فيها وكان ابن الزبير ينهى عنها.فقال:هذه أم ابن الزبير تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فيها فادخلوا عليها فاسألوها،قال:فدخلنا عليها فإذا امرأة ضخمة عمياء فقالت:قد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها.رواه مسلم.٩

تعليم المرأة للغة العربية منذ عصر النبوة:

إن البدايات الأولى لتعليم أي لغة تكون بتعليم القراءة والكتابة، وقد عنى الرسول عليه السلام بتعليم اللغة العربية،ويظهر هذا واضحامن موقفه تجاه فداء أسرى بدر وتعلم زوجته حفصة أم المؤمنين القراءة والكتابة،ولم يقتصر الأمر على حفصة وإنما كانت تشاركها في ذلك بعض أمهات المؤمنين كعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.١٠

ثم تطورت حركة تعليم المرأة اللغة العربية إلى اهتمام عدد من النساء بدراستها، حتى برزت منهن لغويات وأديبات لهن تأثيرهن الإيجابي في نشراللغة العربية ورفع شأنها، كزينب بنت العوام أخت الزبير،وسعدي بنت كريز،وأمثالهن.١١

علاوة على ماسبق فقد وجدت نساء مجتهدات في تعلم العربية في كل عصر من العصور الإسلامية،ففي العصر الأموي تعمقت بعضهن في اللغة العربية مثل سكينة بنت الحسين بن علي،التي قال عنها المستشرق الفرنسي(بيرون) إنها سيدة سيدات عصرها١٢، وكذلك في العصر العباسي يوجد عائشة بنت أحمد التي وصفها المؤرخون بالذكاء والعلم والنقاء والمهارة في النواحي الأدبية وبخاصة الشعر.١٣وفي العصر الحديث يوجد عائشة بنت إسماعيل تيمور، وهي شاعرة أخذت النحو والعروض على يد فاطمة الأزهرية والصرف واللغة الفارسية على خليل رجائي.١٣

تعليم المرأة في نيجيريا:

منذ أن دخل الإسلام في نيجيريا اهتم أهلها بتعليم أبنائهم ذكورا وإناثا الإسلام واللغة العربية، بداية من الكتابة والقراءة كما كانت في الكتاتيب وقد تعمقت بعض النسوة في علم اللغة العربية وآدابها ومنهن أسماء بنت الشيخ عثمان التي لها بعض الإسهامات في النثر والشعر،ومن نثرها مقالتان ألقتهما،إحداهما المقالة التي سمتها (تنبيه الغافلين) وتحتوي على مواعظ مما يجب فعله وما يحرم ويجب

تركه،وتحتوي على عشر صفحات، أما مقالتها الثانية فهي في خصائص سورالقرآن.ولئن دلت تلك المقالتان على شيء فإنهما تدلان على أن المرأة في نيجيريا كانت ولاتزال تأخذ نصيبا وافرا في مجال العلم١٥ وحتى الوقت الراهن لهن نصيب وافر في مجال العلم حيث يوجد بعضهن محاضرات في بعض المعاهد العليا والجامعات والمدارس الأخرى، كالسيدة فاطمة محمد المحاضرة في شعبة اللغة العربية بقسم الأديان، كلية الآداب،جامعة جوس،نيجيريا وغيرها.وكما لأسماء بنت عثمان بن فوديو –كذلك– إسهامات شعرية منها ماقالت في رثاء عائشة بنت عمر الكم زوجة محمد بلّو حيث تقول:

وإني لحكم الله راض وإنما
أراعي بما قد قلت حق الإخوة
ولاإثم حقا لرثاء وقد رثى
النبي أبو سفيان بعد الوقيعة ١٦

تعليم المرأة في أرض إغالا:

منذ أن وضع الإسلام قدميه في أرض إغالا، اهتم الآباء بإرسال أبنائهم ذكورا وإناثا إلى المدارس الدهليزية لتعليم القراءة والكتابة، وتعليم القرآن الكريم،ولكن اهتمامهم بأبنائهم الذكور أكثر،ولذا في هذه المرحلة يجد الباحث أن قُرّاء القرآن الكريم قراءة سردية غالبهم من الرجال وأما من النسوة فقليل، ويرجع السبب في هذا إلى عدم اهتمام الآباء وانشغال البنات بأعمال البيت، وأعمال البيع والشراء وغيرها.

وأما في المدارس الإسلامية النظامية الابتدائية فيوجد عدد لابأس به من البنات المسلمات يدرسن في هذه المرحلة،وقلما يتجاوزن المرحلة المذكورة إلى المرحلة الإعدادية، لبلوغ بعضهن، وإذا بلغن، تزوجن دون متابعة الدراسة.وربما تتوقف الدراسة لذلك أو لعدم وجود مدارس للكبار،على نحو ما هو عليه الحال في بلاد هوسا وغيرها. ولذا قل ما تجد المرأة الحاصلة على الشهادة الثانوية في الدراسات العربية والإسلامية في المنطقة.وإن وجدت من تريد متابعة دراسة الابتدائية،فإنه يصعب عليها أن تجد مدارس إسلامية قوية في المنطقة،ولاتستطيع أن تسافر إلى خارجها طلبا للعلم لكونها امرأة. كل هذه من المشكلات التي تواجه دراسة المرأة المسلمة للغة العربية في المنطقة.

بعض المشكلات المانعة من تعليم المرأة اللغة العربية في أرض إغالا:

١- عدم اهتمام بعض الآباء بتعليم بناتهم جهلا بأهميته.
٢- قلة المدارس العربية الإعدادية والثانوية القوية في المنطقة.
٣- تكليف البنات بأعمال البيت وعملية البيع والشراء.
٤- عدم وجود المدارس العربية لكبار السن.
٥- الاعتقاد الخاطئ لدى بعض الأباء بأن انشغال البنات بالتعليم يؤدي إلى عدم قيامهن بدور فعّال في بيوتهن.
٦- الجهل بدور المرأة في بناء الوطن وسلامته.

الحلول المقترحة:

١- محاولة إقناع الآباء بأهمية العلم في حياة البشر، وذلك بالبيان الكافي والشواهد الملموسة.
٢- حث المسلمين والحكومة على إنشاء المدارس الإسلامية الإعدادية والثانوية في المنطقة.
٣- إنشاء المدارس الثانوية لتعليم الكبار.
٤- إتاحة الفرصة الكافية للبنات ليتسنى لهن مشاركة الرجال في طلب العلم.
٥- ليحاول علماء المسلمين بيان أهمية تعليم المرأة وأثره في المجتمع،ومحاولة القضاء على الاعتقاد السائد الخاطئ في أن المرأة ليست لها دور فعال في بيت والدها.
٦- حث الآباء على إدخال بناتهم في المدارس الثانوية والجامعية.
٧- حث الأزواج على إتاحة الفرصة لزوجاتهم لمتابعة الدراسة العربية والإسلامية في المدارس العربية الثانوية والجامعات.

وبهذه الاقتراحات وغيرها يمكن القضاء على كثير من هذه المشكلات المانعة من تعليم المرأة للغة العربية في أرض إغالا لتصبح كأخواتها في بلاد أخرى من نيجيريا وخارجها.

الخاتمة ونتائج البحث:

عالجت الورقة قضية المرأة

وتعليمها للغة العربية في المنطقة.فبدأت بتعريف المنطقة وألقت دلوها في بحث عن فضل العلم ولاسيما فضل تعليم النساء في عهد بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما تلاه من عصور،وأظهرت أن للمرأة مكانة مرموقة في تعليم اللغة العربية وتدريسها للآخرين.واكتشفت أيضا أن المرأة المسلمة في نيجيريا بذلت جهودها القصوى في تعلم اللغة العربية حتى أنتجت بعضهن إنتاجات علمية ضخمة،كأسماء بنت الشيخ عثمان بن فوديو التي لها بعض المقالات العلمية والأبيات الشعرية ، وأصبح منهن محاضرات في بعض جامعات نيجيريا، يدرسن اللغة العربية فيها.

ولكن الأمر يختلف في أرض إغالا بحيث لاتكاد تجد امرأة مسلمة متبحرة في اللغة العربية،ولاتكاد تجد إنتاجات علمية لهن في المنطقة لأسباب مختلفة بينها الباحث سابقا.وأتى الباحث ببعض الاقتراحات لحل هذه المشكلات حتى يمكن لإناث منطقة إغالا تعلم اللغة العربية،وإتقانها،والتعمق فيها،وتدريسها للآخرين.

الهوامش

١- ثالث أبوبكر عبدالله(٢٠٠٩) ،حركة اللغة العربية في أرض إغالا بولاية كوغي،نيجيريا،المطبعة ألموس،الطبعة الأولى، إلورن،ص،١.

٢- شهاب الدين أحمد بن علي(الحافظ) (١٩٨١) ،مختصر الترغيب والترهيب،مكتبة الغزالي،دمشق،ص،٢٠ .

٣- المرجع نفسه، ص،١٩.

٤- آدم عبد الله الإلوري(١٩٨١م) ،نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي،دار العربية للطباعة النشر،الطبعة الثالثة، بيروت،ص، ٧٧

٥- عبد الحليم أبوالشقة (١٩٩٠م) ،تحرير المرأة في عصر الرسالة،دار القلم للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى، الصفاة الكويت،ص،٤١

٦- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٧- نظام تعليم العربي لآدم عبدالله الإلوري، المرجع السابق،ص،٧١ .

٨- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٩- المرجع نفسه ص،٢١٣.

١٠- قاسم بدماصي(٢٠٠٨م) ،إسهام المرأة المسلمة في تعليم اللغة العربية عبر التاريخ الإسلامي،جمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية،نيجيريا،الجزء الثاني،المطبعة شيبيأوتما،إجيبو أودي،ص،١٢٧

١١- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

١٢- المرجع نفسه ص،١٢٩

١٣- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

١٤- المرجع نفسه ص،١٣٠

١٥- علي أبوبكر(الدكتور)الثقافة العربية في نيجيريا من ١٧٥إلى ١٩٦٠م عام لإستقلال،دون ذكر التاريخ والناشر ومكان النشر،ص٢٩١-٢٩٢.

١٦- أحمد سعيد غلادنثي(الدكتور) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة ١٨٠٤- سنة ١٩٦٦م،المكتبة الإفريقية،الطبعة الثانية،ص،١١٥.